

القيم الوطنية وأبعادها الاجتماعية في الأناشيد الكشفية

National values and their social dimensions in scouting chants

شميسة خلوي*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة أبو القاسم سعد الله

الجزائر / 02

Soumicha.khaloui@univ-alger2.dz

تاريخ الارسال: 2021/05/09 تاريخ القبول: 2022/12/29 تاريخ النشر: 2022/12/31

الملخص:

يشكل الأدب المكتوب شعره ونثره، رافداً مهماً لزرع القيم المختلفة التي يعيش بها الإنسان في مجتمعه، ولا سيما إذا كان موجّهاً للطفل على شكل أناشيد يسهل حفظها وتداولها، بل وقد ترسخ في الأذهان لسنوات طوال.

في هذا الإطار ارتأينا أن نبسط الحديث عن الأناشيد الكشفية التي تدخل في إطار أدب الطفل، واستخلاص مختلف القيم الوطنية التي تنمى في روح الطفل الجزائري مما ينعكس إيجاباً على صفته كفرد صالح في المجتمع، وقد تنوعت شواهدنا الشعرية من الأناشيد الكشفية بين الشعر الفصيح والشعر المنظوم بالعامية الجزائرية وكلها تحتوي على قيم إيجابية مختلفة، وتحديدًا القيم الوطنية مدار حديثنا والتي ترمي إلى بعث حب الجزائر في نفوس الناشئة.

الكلمات المفتاحية: القيم، الوطن، الجزائر، الأناشيد الكشفية.

Abstract:

Literature is one of the reasons for acquiring the different values that a person lives in his society, especially if it is directed to the child, such as songs that are easy to memorize and circulate, and have even been entrenched in the minds for many years.

In this context, we decided to talk about scouting hymns and extract the various national values that develop them in the spirit of the Algerian child,

* المؤلف المرسل.

which reflects positively on his character as a good individual in society. Specifically, national values that aim to inspire love for Algeria in the hearts of young people.

Keywords: Values, Motherland, Algeria, Scouting chants.

مقدمة:

إنَّ أنماط سلوكنا الإنساني بما في ذلك الأفكار والقيم والعادات التي تدعم هذا السلوك لم نكتسبها دفعة واحدة، وإنَّما أتت ممَّا حولنا من مؤثِّرات اجتماعية وثقافية في أسرنا ومجتمعاتنا انطلاقاً من طفولتنا.

لذلك، فالاهتمام بمرحلة الطفولة يعدُّ من الأولويات إذا ما ابتغيينا جيلاً مثقفاً يحمل سمات الشخصية السويَّة، يحب وطنه ويحترم أفراد مجتمعه ويكون وفياً لمبادئ دينه. فالعناية بالطفل -منذ الصغر- من جميع النواحي مهمَّة في تكوين شخصيته تربوياً ونفسياً واجتماعياً، فهو في كل الأحوال سيتخطَّى مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشَّبَاب بمكتسبات قُبْلِيَّة مختلفة، نحن من نرسم ملامحها بثقافة ذات أسس صحيحة أو بثقافة الشَّارع، وشتان بين الثَّقافتين!

ومن طرق تعليم الطفل وتنمية قدراته هو تعليمه لمجموعة من القيم عن طريق الأناشيد المقروءة أو المسموعة والتي تتوفر فيها شروط معينة تُعين الوالدين والمربين على توصيل الفكرة الراقية بطريقة مختلفة عن التلقين المباشر.

وهذا النوع من الأناشيد يدخل ضمن أدب الطفل على وجه العموم، إذ يُعرَّف هذا النوع من الأدب بتوجُّهين اثنين: أوَّلهما: أدب الأطفال بمعناه الخاص الذي يعني «الإنتاج العقلي المدوَّن في كتب موجَّهة لهؤلاء الأطفال في شتَّى فروع المعرفة»،⁽¹⁾ وثانيهما ما كان بمعناه العام أي: «الكلام الجيِّد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية.. سواء أكان شعراً أم نثراً.. وسواء أكان شفويّاً بالكلام، أو تحريرياً بالكتابة»،⁽²⁾ وعليه، فإن الأناشيد المكتوبة أو المسموعة تدخل ضمن المعنى الثاني.

ومعلوم أن الكتابة للأطفال تختلف عن الكتابة للكبار، بل تكاد تكون أصعب، نظراً للخصوصيات التي ينفرد بها الطفل، وهنا تكمن صعوبة ضبط مسار هذا النوع من الأدب، فلا يمكن أن نخضعه حرفياً لمقاييس محددة، باعتبار أن لكل أديب طريقته ورؤيته في إنشاء النص الأدبي حيث يجب أن تظهر سماتها على إبداعه، وإلا فقد النص الأدبي كثيراً من فعاليته

وتأثيره على المتلقي،⁽³⁾ وعلى هذا الأساس تختلف الإبداعات باختلاف المبدعين ومشاريعهم وقناعاتهم أيضا.

وقد اخترنا أن تكون الأناشيد الكشفية التي يتعلمها الكشاف الجزائري منذ نعومة أظفاره مجال بحثنا، بحيث نبسط الحديث عن مختلف القيم الوطنية ذات الدلالات الاجتماعية التي يكتسبها الكشاف في مسيرته الكشفية.

ومن جهة أخرى، وانطلاقا من وجوب تضمن الأدب الموجه للأطفال على مجموعة من المعايير التي تصلح لبناء وتقويم العمل الأدبي للأطفال على شاكلة⁽⁴⁾ المعيار الشرعي والعلمي والمرحلي والفني، إضافة إلى المعيار القيمي الذي يقوم من خلاله الناقد على كشف أوجه الاتجاهات القيمة التي تضمها النص، وتكون القيم الوطنية من بين ما يسعى إليه الشعراء، فإننا سنحاول إظهار ما توصلنا إليه من خلال متابعتنا للأناشيد الكشفية الجزائرية الموجهة للكشاف الجزائري.

ولنبداً بمفهوم القيم الوطنية، ثم الحركة الكشفية الدولية على وجه العموم والكشافة الجزائرية الإسلامية على وجه الخصوص، لنتبين الجذور الأولى لمبادئها وأهم معالمها المميزة لها مقارنة ببقية التجمعات والمنظمات التي تعنى بالطفل والشباب.

1. القيم الوطنية (ماهيتها وعلاقتها بالمجتمع):

يعيش الإنسان في مجتمعه حاملا لتوجه أخلاقي وفكري وعلمي معين، يتفق فيه مع غيره وقد يختلف، ومن الطبيعي أن يحكم هذا التوجه مجموعة من العوامل كالدين والوطن والتاريخ، ومن هذا الباب تكوّنت القيم الوطنية.

والقيم هي «معايير تتصل بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية، ويقوم منها موازين يبرز بها أفعاله ويتخذها هاديا ومرشدا، وتنتشر هذه القيم في حياة الأفراد وتحدّد لكل فرد الحلفاء والأعداء،»⁽⁵⁾ وتختلف باختلاف الطابع الذي يميزها، فمنها القيم الدينية والقيم الوطنية والقيم الاجتماعية وغيرها.

أما الوطن فيعرف بأنه «مولد الرجل والبلد الذي هو فيه،»⁽⁶⁾ وهو في معجم المصطلحات العلمية «إقليم الدولة الذي يوجد فيه المقر القانوني للشخص.»⁽⁷⁾

وإن التمسك بالقيم الوطنية له فوائد تعود على الفرد والمجتمع، فحينما يتحقق انتماء الفرد إلى الوطن بممارسة القيم الفعلية، يتحقق الاستقرار الخلقي في المجتمع.

ونُعَدُّ نعمة الوطن من النِّعم العظيمة التي أنعم الله بها علينا، وإنَّ غريزة حب الأوطان تعتبر جزءاً من التكوين العاطفي للإنسان، حيث تتنامى الروابط الروحية المشكِّلة له وتنعكس في أشكال تعبيرية مختلفة.

وحينما نتحدث عن القيم الوطنية فإننا نجعل من المكان قيمياً، حيث نقصد المبادئ والقواعد والمثل العليا التي وجب أن تتوفر في المواطن الصالح داخل وطنه، وهي التي تصنع نسيج شخصية الفرد، والأصل أن يعتز الفرد بقيمه ويسعد بها، ويسعى إلى إشاعتها بين الناس بالعمل الدائب والحكمة والموعظة الحسنة، وقد يصل هذا الاعتزاز إلى النضال في سبيل تأكيد القيمة وتثبيتها في واقع الحياة.

وإن هذه الأصول الأخلاقية لها تأثيرات مباشرة على المجتمع، باعتبار الوطن هو الحاضن له، وعليه تتكون لدينا قيم وطنية مختلفة، كحب الوطن الذي يستوطن القلوب، فالوطن هو مسقط الرأس وهو وطن الآباء والأجداد.

ومثل ذلك السعي لتحرير الوطن حيث تعتبر مسألة جوهريّة ثابتة، فإذا كان الإسلام قد جعل الولاء لله تعالى أولاً، عليه نوالي وعليه نعادي، فإن أي اعتداء خارجي على أوطاننا يعد اعتداء على انتماؤنا ديناً وتاريخاً، وكذا الدعوة إلى حماية الوطن من كل معتد الدعوة إلى الحفاظ على المقومات الوطنية والاعتزاز بها.

وبما أن قيمنا الوطنية مرتبطة بوطننا فإن من جملة القيم الوطنية نجد التذكير بثورة نوفمبر وفضل الشهداء الأبرار والمجاهدين، والاعتزاز بيوم الخامس من جويلية الذي يعتبر رمزا لانتصار إرادة الشعب.

كل هذه القيم وغيرها، إذا ما استوطنت روح الفرد فإن هذا سينعكس إيجاباً على المجتمع، باعتبار الوطن يحتوي المجتمع، والمجتمع يأخذ انتماؤه من الوطن، وكلما كان الفرد يحمل قيماً إيجابية، كلما عادت على الأسر بالخير العميم.

2. الحركة الكشفية (من النطاق العالمي إلى النطاق المحلي):

يعد العمل التطوعي ظاهرة اجتماعية حيث يقوم على جهود أفراد أو مؤسسات المجتمع، بغية المساهمة في حل مشاكل المحيط الاجتماعي وترقيته وتحقيق مبدأ التكافل والتعاون بين الأفراد، ولا يخص هذا العمل بلداً بعينه بل يتعلق بمختلف دول العالم، والأمر ينسحب على الحركات الكشفية إذ تعتبر عملاً تطوعياً لبناء لبنات طيبة في المجتمع.

ولنوضح مفهوم الحركة الكشفية العالمية على وجه العموم ثم ننتقل إلى الكشفية الجزائرية الإسلامية على وجه الخصوص، فيما يلي:

1.2. الحركة الكشفية العالمية:

تعتبر الكشفية من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأكثر حداثة إذا نظرنا لها من الزاوية المؤسساتية، وقد اعتبرت الحركة الكشفية⁽⁸⁾ فكرة أريد بها تجديد الحياة في الهواء الطلق، ثم لم تلبث هذه الفكرة أن غدت عنصرا فعالا في ميدان التربية، بل ويمكننا القول إن الكشفية حركة متممة للإعداد المدرسي وصالحة لسد بعض الثغرات التي لا تتوفر في المنهاج الدراسي العادي، إنها مدرسة تُعِد الإنسان للحياة العامة النشيطة عن طريق الاعتماد على الطبيعة.

والغايات الأساسية التي ترمي إليها الحركة الكشفية متعددة أهمها⁽⁹⁾ رفع قيمة الفرد بتنمية أخلاقه وصحته وإمكانياته العلمية وغرس الروح الوطنية فيه لكي يسخر هذه الكفاءات لخدمة الناس الآخرين.

2.2. الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية:

لقد شهدت الحركة الشبابية الجزائرية قبل أكثر من قرن تجمعات مختلفة المشارب متباينة الأهداف، ولعل من أبرزها الكشفية الإسلامية الجزائرية والتي استوحت عند نشأتها الحركة الكشفية الدولية من جهة وراعت المتطلبات الوطنية الجزائرية من جهة أخرى. وقد مرّت الكشفية الإسلامية الجزائرية عبر مراحل مختلفة، وقد كانت بدايتها العام 1935م بتأسيس فوج الفلاح بالجزائر العاصمة، إلى أن انفصل أعضاؤها العام 1955م، نظرا لعدة عوامل اجتمعت كلها طلبا للوحدة ونبذا لتشتت المساعي والتي تخدم الوطن الذي كان يعيش آنذاك تحت نير الاستعمار الفرنسي، ومنها تصاعد الإحساس الوطني في الحركة الكشفية ورد فعل الأحزاب والحركات الوطنية اتجاه الحركة الكشفية⁽¹⁰⁾.

وقد كانت الريادة للقائد الشهيد "محمد بوراس" (1908-1941م)⁽¹¹⁾ كمؤسس للكشفية الإسلامية الجزائرية، الذي أعدم بعدما اتهم من قبل السلطات الفرنسية بالتعاون والتضامن مع العدو.

ويشهد التاريخ الجزائري لشخصيات تعد رموزا للثورة التحريرية نشأت من رحم الكشفية الإسلامية أمثال الشهداء: ديدوش مراد (ت: 1955م) وباجي مختار (ت: 1955م)

وسويداني بوجمعة (ت: 1956م) زيغود يوسف (ت: 1956م) والعربي بن مهيدي (ت: 1957م)، وغيرهم.

وبعد الاستقلال عاودت الحركة الكشفية نشاطها، ولحد الآن حاضرة وفي مختلف ولايات الوطن، في المناسبات وفي غيرها، تحتضن أطفال الجزائر وشبابها في هياكل منظمة تستوعب انشغالات المنضمين إليها وتزرع فيهم مبادئها الأولى التي لم تزغ عنها. تعتمد الكشفة الإسلامية الجزائرية في نشاطها على مبادئ أساسية هي⁽¹²⁾: الواجب نحو الله والوطن ثم الواجب نحو الآخرين ثم الواجب نحو الذات، وهذا يعطي للمنظمة سمة التربوية الوطنية، وفي نفس الوقت يؤكد على الانتماء للأمة الإسلامية، مما يزرع القيم النبيلة في نفوس الأطفال والفتية والشباب.

كما تستند هذه المؤسسة الكشفية في أداء رسالتها على العهد والقانون، إذ على كل فرد منتم للكشفة الإسلامية الجزائرية أن يؤدي العهد الكشفية مباشرة بعد انتسابه إليها، وهو: الآتي بنصه: «أعد بأن أبذل جهدي في القيام بواجبي نحو الله ونحو الوطن، وأن أساعد غيري، وأن أخدم وأطبق قانون الكشف»،⁽¹³⁾ وتبقى هذه الكلمات المسؤولة نبراسا في حياة الكشاف استيعابا وتطبيقا.

3. أناشيد الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية:

إننا إذا نظرنا إلى المسار الذي يشكله أدب الطفل على وجه العموم الموجه للطفل الجزائري، فإننا نجده متباينا بين المنثور كالقصص والمنظوم كالأناشيد، ويعد هذا النوع الأخير من أهم ما يطبع النشاط اللغوي الكشفية، إذ نلاحظ الكثير من الأناشيد الكشفية التي يتغنى بها الأعضاء المنتمين إليها، منها الأناشيد المنظومة من طرف كتاب جزائريين وأخرى لشعراء عرب، كما تتباين تلك الأناشيد بين المكتوبة باللغة العربية الفصحى وبين المكتوبة بالعامية الجزائرية.⁽¹⁴⁾

والأناشيد هي «تلك النصوص الشعرية التي يعتمد مؤلفها في نظمها على اليسر والسهولة بحيث يمكن إخضاعها للغناء والتلحين وتهدف إلى تهذيب الوجدان لدى الأطفال وترقية أحاسيسهم ومشاعرهم إضافة إلى تدريب أصواتهم وتنمية قدراتهم ليمتلك المتعلم مهارة النطق السليم ومن ثم الخروج بهم من دائرة الخجل المفرط مع التركيز على أهمية الاستماع والإنصات».⁽¹⁵⁾

وسنقوم بعرض النشيد الكشفى العربى وهو المتداول فى جميع الدول العربية، لنعرض بعدها لمختلف الأناشيد التى يحفظها ويرددها أشبال الكشفية الجزائرية باللغة العربية الفصحى لذكر مختلف القيم الوطنية المحتوية على أبعاد اجتماعية مع ذكر أمثلة متنوعة، لنصل إلى الأناشيد المكتوبة بالعامية ونعرضها بنفس الطريقة.

1.3. إطلالة عامة عن القيم الوطنية في النشيد الكشفى العربى "كشاف هيا طليق الحيا"

يعتبر النشيد الكشفى العربى لسان حال الكشافة فى مختلف الدول العربية، وهو من نظم الشاعر اللبناني "بشارة عبد الله الخورى" الملقب بالأخطل الصغير (ت: 1968م) وفيه يقول: (16)

كشّاف هَيَّا *** طَلِّقِ الْمُحَيَّا
أَدِّ إِلَى الْهُدَى *** رِسَالَةَ الْفِدَاءِ
بِأَيْدٍ سَفَرَةٍ *** كِرَامَ بَرَرَةٍ
كشّاف هَيَّا *** هَيَّا يَا كَشَّافِ
بَشِّرْ بِنَا الْعَالَمِينَ *** وَاهْتِفْ بِنَا كُلِّ حِينِ
نَحْنُ الْمَلَائِكَةُ الْأَمِينِ *** نَحْنُ ابْتِسَامُ حَزِينِ
مِنْ كُلِّ جَنْسٍ مِنْ كُلِّ دِينِ *** كَشَّافِ هَيَّا
الْقَوْلُ مَنَّا يَمِينِ *** وَالظَّنُّ مَنَّا يَقِينِ
نَأْتُمُّ بِالصَّالِحِينَ *** نَعْتَرُّ بِالْخَالِدِينَ
مِنْ كُلِّ جَنْسٍ مِنْ كُلِّ دِينِ *** كَشَّافِ هَيَّا
إِنَّ طَارِقَ أُسْمِعَنَا *** أَوْ خَائِفَ رُوعَنَا
لَمْ يُلْقُنَا هُجْعًا *** إِنَّا لَمْ قَدْ دَعَا
مِنْ كُلِّ جَنْسٍ مِنْ كُلِّ دِينِ *** كَشَّافِ هَيَّا
كَشَّافِ هَيَّا *** هَيَّا يَا كَشَّافِ
نَحْنُ حُمَاهُ الْبِلَادِ *** نَحْنُ لَوَاءُ الْجِهَادِ
جَمْعٌ وَلَكِنْ آحَادِ *** كَذَا كَذَا الْإِتِّحَادِ

إن أول قراءة لمقاطع هذا النشيد تبين لنا أنه موجّه للكشاف العربى تحديدا، وذلك أن الذى سينشده سيفخر بانتمائه، ويعتز بكونه ضمن صفوف الكشافة، وليس عبثا أن تكررت

عبارة (كشاف هيا) يعتبر التكرار من الأساليب البلاغية، إذ يؤسس على ترديد اللفظ أو العبارة من أجل الدلالة على غرض معين، والغرض هنا هو تعزيز الانتماء.

والذي يهمننا هو التركيز على القيم الوطنية التي لا يخلو منها هذا النشيد، فقول الشاعر مثلا (نحن حماة البلاد) له دلالة قوية، بحيث تكرر العبارات الإيجابية في كل مناسبة -خصوصا كونه النشيد الرسمي المعتمد من كل البلدان العربية- يؤدي إلى ترسيخها، والحماية هنا تكون من كل من يستهدف أرض الوطن ورموزه، فإن تربي الطفل على هذه القيمة صدد كل محاولات الاعتداء اللفظي أو الفعلي على وطنه، ونرى ذلك من صميم التربية الوطنية للطفل.

2.3. القيم الوطنية الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية (نماذج مختارة):

إن الكشف الجزائري ينتمي لشعب صهرته الخطوب، فلاذ بساحة الوعى ليُسمع الدُنا بصوتٍ نائر: شعبُ الجزائر مسلمٌ وإلى العروبة ينتسب!

شعبٌ قدّم النفس والنّفس في سبيل تحرير الجزائر، فتعدّر على المحتل كبح نضاله وحسن إرادته، وبعد جهاد طويل مرير تحقّق النّصر ورفرفت راية الحرّية خفاقة، فكانت بذلك الجزائر محجّة الثّوار وكل من يقدّس مبدأ الحرّية وينبذ الاستعمار، وأضحّت الثّورة الجزائرية مفخرة العالم العربي والإسلامي، ورمزا للكفاح والنّضال، ومن الثورة استلهمت القيم الوطنية، لتمتد إلى بعد الاستقلال وتكتسب جيلا بعد جيل.

ولازالت القيم الوطنية تبث في أرواح الأجيال الصاعدة، لأنهم أحفاد المجاهدين والشهداء، رغم تحديات العولمة وأخواتها وكل الظروف التي يعيشها عالمنا، ونعيّد مختلف هذه القيم التي تحفل بها مختلف الأناشيد الكشفية على وجه التمثيل لا الحصر، والمتمثلة فيما يلي:

أ. حب الوطن:

حبه متأصلٌ في النّفس البشرية، يحرك مكانا الوجدان حين ذكره، ويصبغ على النفس رُوحا وسرورا في أيام سلّمه، وغُصّة وشجوا حين كربه، وإنّا لا نحصي ما أسبغ الله علينا من نعم ظاهرة وباطنة، وممّا لا ريب فيه لكل ذي عقل لبيب أن نعمة الوطن من النّعم العظيمة التي أنعم الله بها علينا، وقد أودع الله فينا غريزة حبنا لأوطاننا.

فالإنسان جُبل على حب مكان الانتماء الأول حتى إن ابتعد عنه وغادره، وفي هذا السياق تحت الأناشيد الكشفية على تعزيز هذه القيمة في نفوس الكشافة، عبر مختلف نصوصها، من ذلك ما ورد في إحدى أناشيد الكشافة:

بِلَادِي غَرَامُكَ مِلَّاءَ الْفُؤَادِ *** وَعِزُّكَ فِي كُلِّ عِرْقٍ يُنَادِ⁽¹⁷⁾

فالانتماء للوطن ظاهر من أول كلمة افتتح بها البيت الشعري، ليس هذا فحسب، بل إن الشاعر عبر عن حبه لوطنه بالغرام الذي استوطن فؤاده وملأه، والفرد إن أحب وطنه أحب كل ما يعود عليه بالنفع، وحب الوطن هو الحفاظ على ممتلكات الوطن، وهو العمل لأجل رقي الوطن، وهو الدفاع عن الوطن... وكل هذا يصب في صلاح المجتمع، وما الوطن إلا مجتمع له انتماء يشترك فيه أفراداه من دين وتاريخ ولغة.

ب. التذكير بشورة نوفمبر وفضل الشهداء الأبرار والمجاهدين:

من المعاني التي حملتها الأناشيد الكشفية؛ تخليد مآثر شهداء الثورة التحريرية -أمطر الله على أضرحتهم سحاب رضوانه- والتذكير بما قدموه في سبيل تحرير الوطن، جاء في إحدى الأناشيد الكشفية:

تَنَاجِي الْعَوَاطِفُ تَحْتَ اللَّحُودِ *** عَظَامَا سَقَتَهَا غَوَادِي الْخُلُودِ
فَتُذَكِّرُنِي بِهَا ذِكْرَاتُ الْجُدُودِ *** وَمَا قَدَّمُوهُ لِهَذَا الْوُطَنِ⁽¹⁸⁾

وإن تشعب الكشف الصغير بفكرة التاريخ الثوري، تاريخ الآباء والأجداد، يجعله يفخر أمام الجميع بتاريخه، ويدرك أن على عاتقه حماية هذا الإرث، والمجتمع الذي يتربى أفراداه على تذكر الماضي يكون دافعا لبناء المستقبل على أسس سليمة.

ج. الدعوة إلى حماية الوطن من كل معتد:

حينما يعتز الطفل بماضيه ويفتخر بتاريخه ويحب وطنه، فإنه يكون مستعدا لحمايته من كل تدخل خارجي لفظا أو فعلا، وهذا ما تحاول مقاطع كثيرة من الأناشيد الكشفية تجسيده، مثل أنشودة "الكشاف" لأبي بكر مصطفى بن رحمون، ومما جاء فيها:

بِلَادِي يُقْدِرُكَ جُنْدٌ أَمِينٌ *** يُشِيدُ بِحُبِّكَ فِي الْعَالَمِينَ
فَمِنِّي خُذِي صَارِمًا لِلْجِهَادِ *** وَدِرْعًا تَقِيكَ بِسَهَامِ الْمُحَنِ
سَهَتِفُ بِاسْمِكَ فِي كُلِّ حِينٍ *** وَعَنْكَ نَكْفُ أَدَى الْغَاصِبِينَ
وَنَطْلُبُ حَقَّكَ حَتَّى يَبِينَ *** وَنَنْفُضُ عَنْكَ غُبَارَ الْوَسَنِ⁽¹⁹⁾

إن فداء الوطن مقدس لدى الكشاف الصغير، والجهاد في سبيل تحريره لازم، وهذا ما يبينه المقطع السابق، وهكذا يتعلم الطفل أن الحق المسلوب يُسترد، والحرية تُؤخذ بالقوة لا بالاستكانة، وهذا من شأنه تنمية روح الوطنية مما يساهم في وجود لبنات مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد.

د. الدعوة إلى الحفاظ على المقومات الوطنية والاعتزاز بها:

تتنوع مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية التي تعتبر ركائز الوطن وعلاماته التي يتميز بها عن غيره، فالدين ووحدة الوطن والتاريخ المشترك واللغة من أهم هذه المقومات، فوحدة الوطن مثلاً يعبر عنها بالعلم الجزائري المشترك الذي يتبناه كل جزائري، ولا يخفى ما لعلم الجزائر من معان خالدة في الذاكرة الجماعية للجزائريين، مما أكسبه حضوراً متميزاً في الشعر، يذكرنا نشيد من الأناشيد الكشفية بفضل المجاهدين والشهداء في عودة العلم الجزائري يرفرف من جديد في كل بقعة من أرض الوطن:

كَانَ عَلَيْنَا مَحْزُومٌ وَقْتُ الْإِسْتِعْمَارِ *** لَكِنَّ مَوْجُودَ الْيَوْمِ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَدُوَارٍ (20)
ويردد الكشاف أيضاً:

عَلَّمَ جَزَائِرِي آهٍ يَا مَحَلَّاكَ *** مَشْهُورٌ مِنْ بَكْرِيٍّ فَاحْمِيهِ يَا إِلَهَ (21)

ومن مقومات الشخصية الجزائرية التاريخ المشترك والمتضمن لشخصيات وأماكن تاريخية معلومة عند كل جزائري معتز بتاريخه، ولها الحضور المتميز في الشعر الموجه للكشافة، على شاكلة الأوراس الشاهدة على الذاكرة الثورية للجزائر، فنلفي الكشاف يحفظ أنشودة بالعامية الجزائرية، جاء فيها:

كِي طَلَعْنَا لِجَبَلٍ لُورَاسٍ *** وَلَقِينَا وَاحِدَ عَسَاسٍ (22)

وعن وحدة الوطن والامتزاج التاريخي بين الأمازيغ والعرب يقول محمد الصالح رمضان

في أنشودة الجواله:

أَيُّهَا الْجَوَّالُ يَا دُخْرَ الْوَطَنِ

هَذِهِ الْأُوطَانُ فِي فَجْرِ الرَّمَنِ

أَوْ ضَحَى التَّارِيخِ أَوْ ظَهْرُ الْمَجْنِ

مِنْ بَنِي مَازِغٍ أَصْحَابِ الشَّمَمِ

أَوْ أَعَارِبِ بَدَاةٍ *** غَابَرُوا مَجْرَى الرَّمَنِ (23)

وكذا خدمة الوطن واعتبارها جزء من الواجبات التي نعيش من أجلها، وارتباطها بديننا الحنيف، ورد:

فَاعْبُدُوا رَبَّ السَّمَا *** وَأَخْذُوا هَذَا الْوَطَنَ

ذَلِكَ خَيْرٌ مَغْنَمًا *** وَبِهِ نَرْجُو الْمُنَّ (24)

ويتكرر هذا المعنى أيضا في المقطع التالي:

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا *** لِلْحَيِّ وَلِلدِّينِ مَالًا يُنْفَقُ

مِنْ نَفْسٍ أَوْ مِنْ نَفْسٍ يُعْشَقُ *** هَيِّنًا مِنْ غَيْرِ مَنْ يَلْحَقُ (25)

ونحاول -طلبا للاختصار- عبر الجدول التوضيحي التالي أن نبز مختلف القيم والعبارات الدالة على القيم الوطنية في الأناشيد الكشفية بشكل صريح وبين:

الجدول رقم 01:

القيمة الوطنية (المباشرة) ذات صبغة الاجتماعية	المقطع الشعري (المختار)	النشيد الكشفي
1. الأناشيد الكشفية المكتوبة باللغة العربية الفصحى		
قوة الفرد	جمع ولكن أحاد	كشّاف هيّا طليق المحيّا
الاتحاد	كذا كذا الإتحاد	كشّاف هيّا طليق المحيّا
نبذ التعصب	من كلّ جنس من كلّ دين	كشّاف هيّا طليق المحيّا
فداء الوطن والدفاع عنه	أدّ إلى الهدى رسالة الفداء	كشّاف هيّا طليق المحيّا
فداء الوطن والدفاع عنه	سرفع فيك لواء النضال	أنشودة الكشاف
فداء الوطن والدفاع عنه	أيّها الجوال يا زخر الوطن	أنشودة الجوال
حب الوطن والتغني به	بلادي غرامك ملء الفؤاد	
حب الوطن والتغني به	سنهتف باسمك في كل حين	أنشودة الكشاف
حب الوطن والتغني به	بلادي العزيزة أنت الجمال	أنشودة الكشاف
2. الأناشيد الكشفية المكتوبة بالعامية الجزائرية		
تحبيب راية الوطن للنائشة	علم جزائري آه يا محلاك	العلم الجزائري
الدعوة لحماية الراية الوطنية	مشهور من بكري فأحميه يا إلاه	العلم الجزائري
تعزيز الانتماء للوطن	قالونا الجزائر ليكم	ثلاثة كشافة

المصدر: أناشيد وطنية، إعداد: المتحف الوطني للمجاهد، وزارة المجاهدين.

أما الجدول التوضيحي التالي فنبرز من خلاله مختلف القيم والعبارات الدالة على القيم الوطنية في الأناشيد الكشفية بشكل ضمني غير مباشر:

الجدول رقم 02:

القيمة الوطنية (غير المباشرة)	المقطع الشعري (المختار)	النشيد الكشفي
1. الأناشيد الكشفية المكتوبة باللغة العربية الفصحى		
الفخر بشهداء الثورة التحريرية	نعتز بالخالدين	كشّاف هيّا طليق المحيّا
الفخر بشهداء الثورة التحريرية	ثراك توسده الخالدون	أنشودة الكشاف
2. الأناشيد الكشفية المكتوبة بالعامية الجزائرية		
التذكير بتضحيات الشهداء	لونها احمر مثل دم الإنسان	العلم الجزائري
التذكير بجرائم الاستعمار	كان علينا محروم وقت الاستعمار	العلم الجزائري
التذكير بنعمة الاستقلال	لكن موجود اليوم في كل مدينة ودوار	العلم الجزائري
التذكير بأحد رموز الأماكن الثورية (الأوراس)	كي طلعنا لجبل لوراس	ثلاثة كشافة

المصدر: أناشيد وطنية، إعداد: المتحف الوطني للمجاهد، وزارة المجاهدين

الخاتمة (النتائج والتوصيات):

بعد هذه الجولة بين الأناشيد الكشفية الجزائرية والقيم التي تحفل بها، استنتجنا ما

مفاده:

- نلغي الأناشيد الكشفية عبر النماذج المختارة وقد صهرت فيها الأحداث التاريخية بزمانها ومكانها وشخصياتها في البنية العامة للنص الشعري، وبرزت المواقف والرؤى الوطنية، وقد لاحظنا أن العودة إلى التاريخ، لم يكن المقصود منها إعادة كتابته بأحداثه ووقائعه، بقدر ما هي قراءة لهذا التاريخ وربطه بواقع الكشاف.
- لقد حظيت القيم الوطنية بالأولوية بين القيم التي تبثها الأناشيد الكشفية، وليس هذا غريبا باعتبار الحركة الكشفية مبنية أساسا على حب الوطن.
- لقد كان للقيم الوطنية في الأناشيد الكشفية أبعادا اجتماعية مختلفة أهمها الحث على التكافل والإحسان إلى الآخرين وزرع المحبة بين أفراد الوطن الواحد.
- تعد الأناشيد الكشفية ركيزة لا غنى عنها في المجتمع الكشفي لما لها من تأثير مباشر وطويل المدى على الكشاف، إذ تتأصل القيم الوطنية في نفسه وتتجذر، ويصير حب الوطن من الايمان فعلا لا قولا، فاللهم سلّم أوطاننا من كل سوء، وارزقنا من الثمرات المزيد.

- أوصي بأن تنال الأناشيد الكشفية مكانتها بين الأناشيد المقدمة للأطفال في مدارسنا لتكون مدعمة للقيم الوطنية التي يتشربها الطفل في المؤسسات التعليمية.
- وأرجو أن تجمع كل الأناشيد الوطنية في كتاب واحد يلم شملها ويساعد الباحث على البحث فيها.
- وجميل أن يولي الشاعر الجزائري جهدا إضافيا لنظم أناشيد جديدة تحمل قيما وطنية تتوافق مع تطلعات الطفل الجزائري وقاموسه اللغوي المستحدث.

المصادر والمراجع:

- [1] أبو عمران الشيخ ومحمد جيجلي، ومجموعة من القادة الكشفيين، الكشف الإسلامية الجزائرية (1935-1955م)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.
- [2] أحمد نجيب، أدب الأطفال (علم وفن) القاهرة، مصر، 1411هـ/1991م.
- [3] إسماعيل عبد الفتاح ورانية حسن أبو العينين، معايير قياس جودة كتب الأطفال، العربي للنشر والتوزيع، 2011م.
- [4] أناشيد وطنية، إعداد: المتحف الوطني للمجاهد، وزارة المجاهدين.
- [5] عبد الفتاح محسن البجة، أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وأدائها، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، 2001م.
- [6] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.
- [7] الكشف الإسلامية الجزائرية، القانون الأساسي، الجزائر، 2005م
- [8] لورد بادن باول، الكشفية للفتيان، ترجمه إلى العربية: رشيد شقير، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
- [9] محمد أديب الجاجي، أظب الأطفال من المنظور الإسلامي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، 1420هـ/1999م.
- [10] الموقع الرسمي الموقع للمنظمة العالمية للكشافة على الرابط: <https://www.scout.org> تاريخ المعاينة: 2021/04/08

الهوامش:

(1) أحمد نجيب، أدب الأطفال (علم وفن) القاهرة، مصر، 1411هـ/1991م، 278.

(2) ينظر: المرجع السّابق، 279.

(3) ينظر: محمد أديب الجاجي، أدب الأطفال من المنظور الإسلامي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، 1420هـ/1999م، 248.

- (4) ينظر: إسماعيل عبد الفتاح ورائية حسن أبو العينين، معايير قياس جودة كتب الأطفال، العربي للنشر والتوزيع، 2011م، 181-182.
- (5) السيد فؤاد البهي، علم النفس الاجتماعيين القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1989م، 294.
- (6) الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ص: 212.
- (7) يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ص: 726.
- (8) ينظر: لورد بادن باول، الكشفية للفتيان، ترجمه إلى العربية: رشيد شقير، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، من المقدمة.
- (9) المرجع السابق، من المقدمة، وكذلك الموقع الرسمي للمنظمة العالمية للكشفية على الرابط: <https://www.scout.org/ar/promiseandlaw> تاريخ المعاينة: 2021/04/08.
- (10) ينظر: أبو عمران الشيخ ومحمد جيجلي، ومجموعة من القادة الكشفيين، الكشفية الإسلامية الجزائرية (1935-1955م)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، 14.
- (11) ينظر: المرجع السابق، 28.
- (12) ينظر: الكشفية الإسلامية الجزائرية، القانون الأساسي، الجزائر، 2005م، 02.
- (13) ينظر: المرجع السابق، 06.
- (14) كون العامية جزء من الخطاب المتداول بالجزائر، فإن الكشفية قد تفتنت لهذا الأمر وجعلت لها نصيبا من الأناشيد الكشفية وإن كانت تواجهها أقل، والعامية هي «اللغة نستعملها في شؤوننا العادية في الصورة التي انتهى إليها تطور العربية الطبيعي في لهجات المحادثة» علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م، 120.
- (15) عبد الفتاح محسن البعة، أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، 2001م، 366.
- (16) أناشيد وطنية، إعداد: المتحف الوطني للمجاهد، وزارة المجاهدين، 157 – 158.
- (17) المرجع السابق، 165.
- (18) نفسه، 165.
- (19) نفسه، 165.
- (20) نفسه، 173.
- (21) نفسه، 209.
- (22) نفسه، 211.
- (23) المرجع السابق، 167.
- (24) نفسه، 120.
- (25) نفسه، 135.